

الحلقة السادسة والخمسون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

هل عندك اعتقاد مستمعي أنك بأعمالك الصالحة تستطيع إرضاء الله؟ وهل تظن أنك عندما تُكثر من هذه الأعمال الصالحة يكون لك حظ أوفر بالحصول على الحياة الأبدية؟ وهل تعتقد أنك عندما تقوم بالواجبات الدينية يصبح هناك أمل أكبر لديك بنوال غفران الله؟ هذا مع الأسف هو ما اعتقد ويعتقد به الكثيرون. فالناس بمعظمهم يظنون أن القيام بالأعمال الصالحة، وإداء الواجبات والفرائض الدينية لابد أن يجعل الله يرضى عنهم، ويقدم لهم حظواً أوفر في نوال الحياة الأبدية. ولم يكن الأمر مختلفاً في زمان المخلص المسيح.

فقد أتى مرة شاب غني إلى المسيح طارحاً عليه السؤال قائلاً له: «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، أَيِّ صِلَاحٍ أَعْمَلُ لِتَكُونَ لِي الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ؟» فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلَّا وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ. وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا». قَالَ لَهُ الشَّابُّ: «أَيَّةُ الْوَصَايَا؟» فَقَالَ يَسُوعُ: «لَا تَقْتُلْ. لَا تَزْنِ. لَا تَسْرِقْ. لَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ. أَكْرِمِ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَأَحِبِّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ». قَالَ لَهُ الشَّابُّ: «هَذِهِ كُلُّهَا حَفِظْتُهَا مِنْذُ حَدَاثَتِي. فَمَاذَا يُعْزِينِي بَعْدُ؟» قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلًا فَادْهَبْ وَبِعْ أَمْلاكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتَّبِعْنِي». فَلَمَّا سَمِعَ الشَّابُّ الْكَلِمَةَ مَضَى حَزِينًا، لِأَنَّهُ كَانَ ذَا أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ (بشارة متى ١٩: ١٦-٢٢). إنه بالفعل حوار هام ومثير، لابد أن نستفيد منه جميعاً. سنأمل الآن بهذا الحوار ومعانيه البليغة بعد فابقوا معنا.

صديقي المستمع، لقد افترض هذا الشاب الغني أن بأعماله الصالحة يستطيع الدخول إلى الحياة الأبدية. ولهذا طرح السؤال على المخلص المسيح: «أَيِّ صِلَاحٍ أَعْمَلُ لِتَكُونَ لِي الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ؟» أو بتعبير آخر ما هي الأعمال الصالحة التي يجب أن أقوم بها والتي تؤهلني للحصول على الحياة الأبدية؟

ولقد أجاب المخلص المسيح الشاب الغني بما يناسب هذا الافتراض. أي إذا كنت تظن أنك بأعمال الصلاح تدخل الحياة الأبدية، فعليك أن تحفظ الوصايا. وهنا سأله الشاب: «أَيَّةُ الْوَصَايَا؟» لقد كان تسأل هذا الشاب اليهودي أمراً غريباً، وهو الذي يعرف الوصايا العشر التي أعطها الله لكليمه موسى. ومع ذلك أجابه المخلص المسيح موضحاً له هذه الوصايا، وذكر ستة منها وهي: «لَا تَقْتُلْ. لَا تَزْنِ. لَا تَسْرِقْ. لَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ. أَكْرِمِ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَأَحِبِّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ». ولنلاحظ أن جميع هذه الوصايا الست التي ذكرها المسيح ترتبط كلها بعلاقة الإنسان مع الآخرين. فالقتل والزنا والسرقة، وعدم الشهادة بالزور، وإكرام الأب والأم، ومحبة القريب كالنفس، هذه الوصايا كلها تحدد كيف يجب أن تكون علاقة الإنسان مع الآخرين، أي عليه أن يتجنب أية خطيئة تسيء للآخرين.

وهنا ادعى الشاب أنه قد حفظ هذه الوصايا جميعاً منذ حدثته، ثم سأل: «فَمَاذَا يُعْزِنِي بَعْدُ؟». وهنا لفت المسيح انتباهه إلى الوصية الأخيرة التي ذكرها له ألا وهي: «تَحِبِّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ». عندما قال له: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً فَادْهَبْ وَبِعْ أَمْلاكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتَّبِعْنِي». أي إذا كنت فعلاً تحب قريبك كنفسك كما تدعي، عليك أن توزع أموالك على الفقراء، ثم تتبعني. وبما أن هذا أمر من المستحيل أن يقوم به هذا الشاب الغني، أي أن يوزع أمواله الكثيرة على الفقراء، لهذا وجدناه يمضي حزيناً. وهكذا سقط هذا الشاب الغني في الامتحان، وتأكد له أنه من المستحيل عليه أن يحب قريبه كنفسه، وأن يحصل بالتالي على الحياة الأبدية بواسطة أعماله الصالحة.

مستمعي الكريم، إذا كان من المستحيل على الإنسان أن يطبق وصايا الله وبشكل كامل؟ وإذا كانت الأعمال الصالحة وإداء الواجبات والفرائض الدينية لا تستطيع أن تجعل الإنسان الخاطئ أن ينال رضى الله وأن يحظى بالحياة الأبدية؟ فأين هو الحل لهذه المعضلة؟ إنها فعلاً تساؤلات هامة وبالإجابة عنها نتضح لنا حقائق هامة.

لقد كشف لنا الكتاب المقدس حقيقة أساسية وهي أننا جميعنا كبشر خطاة، لا بل مستعدون للخطية. وأنه لا يوجد إنسان صالح أو حتى يستطيع أن يفعل الصلاح. ولهذا قال المسيح للشباب الغني: «لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلَّا وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ». وأخبرتنا كلمة الله الحية كما جاءت في الكتاب المقدس: «أَنَّهُ لَيْسَ بَارٌّ وَلَا وَاحِدٌ. لَيْسَ مَنْ يَفْهَمُ. لَيْسَ مَنْ يَطْلُبُ اللَّهَ. الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعًا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَالِحًا لَيْسَ وَلَا وَاحِدٌ» (رومية ٣: ١٠-١٢). فإذا كان الإنسان فاسداً في طبيعته فكيف بإمكانه أن يفعل الصلاح؟ أو أن يتقرب من الله الصالح؟

لقد أجابنا عن هذه التساؤلات الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل عندما كتب قائلاً: «وَأَمَّا الْآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بِرُّ اللَّهِ... بِرُّ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، إِلَى كُلِّ وَعَلَى كُلِّ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ. لِأَنَّهُ لَا فَرْقَ. إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللَّهِ، مُتَبَرِّرِينَ مَجَانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي قَدَّمَهُ اللَّهُ كَفَّارَةً بِالْإِيمَانِ بِدَمِهِ» (الرسالة إلى رومية ٣: ٢١-٢٤). إذن لقد أعلن الله تبريره للإنسان الخاطيء، من خلال الإيمان بالمخلص يسوع المسيح. المسيح الذي وحده البار، لأنه كلمة الله المتجسد، وهو الذي قام بالتكفير عن خطية الجنس البشري بأكمله عندما مات على الصليب، عوضاً عنا نحن البشر الخاطئة. وهكذا يتبرر وينال الغفران عن خطاياها، كل من يؤمن بالمسيح وعمله الكفاري من أجله.

هذا هو الحل الذي تقدمه المسيحية للإنسان الخاطيء، وهو ما عجزت عنه الأعمال الصالحة والفرائض الدينية، ألا وهو تبرير الإنسان عن طريق الإيمان، الإيمان بالمخلص المسيح فقط. هذا هو الخبر المفرح أن الله يغفر ذنوبنا ويجعلنا أبراراً أمامه، ويهبنا الحياة الأبدية فقط إذا آمننا بالمخلص المسيح. فهل تراك مستمعي تؤمن بهذا المخلص الوحيد والفردي؟